الحجم، مبعثرة، قليلة السكان، بسيطة المظاهر، وغير متعددة الوظيفة. فالبعض يرجعها الى بلاد ما بين النهرين؛ وآخرون يرون في مصر البدايات الأولى؛ وبعض يرى في الهند والصين دليلاً على المراكز الأولى للاستقرار البشري؛ ولكن قسماً كبيراً يرى في فلسطين المكان الأول لظهور المدن[٣]. أمّا عن وجـود الانسان البدائي في فلسطين، فقد أظهرت الحفريات في مناطق مغارة الزطية، شمال طبريا، ومغارتي السخول والطابون، في وادي المغارة جنوب شرق عتليت في جبل الكرمل، وجود هياكل بشرية يزيد عمرها على ٢٠٠ ألف سنة[٤].

الاستقرار البشري في فلسطين

كانت فلسطين موطناً لشعب أوروبي غير سام قبل الألف الثالث قبل الميلاد، كما دلّت آثار تل الجزر[٥]. وبعد ذلك استقبلت فلسطين موجات ساميّة عدّة، أقدمها وأهمّها الموجة الأمورية الكنعانية التي تركت آثارها في الزمان والمكان الفلسطينيين، وكان ذلك حوالى العام ٢٥٠٠ قبل الميلاد[٦]. وتدل آثارها، المتمثلة في بناء أكثر من ٢٠٠ مدينة، منها القدس ونابلس وبيسان وعكا ويافا وغيرها، على ذلك[٧]. وفي حوالى العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، استولى الحثّيون على فلسطين[٨]، وأقاموا مدناً عدّة، منها غزة وجت وعسقلان وأسدود وعاقر وبئر السبع وبني برق والخيرية وبزق[٩].

ومنذ الألف الرابع قبل الميلاد، استقبلت أرض كنعان أعداداً من الايجيين، أو الفلسطينيين. وبقي الحال كذلك حتى اكتملت للفلسطينيين، في حوالى العام ١٥٠٠ قبل الميلاد[١٠]، السيطرة على البلاد، وتسميتها باسمهم، وبنوا العديد من المدن[١١].

أمّا المصريون، وخاصة أتباع سيدنا موسى (عليه السلام) أو العبرانيون، فقد قدموا الى فلسطين على الرغم من تضـارب الآراء حول تاريخهم[١٢]. وان سلّمنا برواية قدومهم الى فلسطين[١٣]، فان أعدادهم لم تكن لتسمح لهم باقامة مدن في فلسطين. ويمكن ان يعود ذلك الى الأسباب التالية:

- كان أتباع سيدنا موسى (عليه السلام) يعيشون تحت سيطرة الفراعنة، الذين تميّز حكمهم بالتسلط والقهـر وخنق الحـريات واضطهاد الأقليات. ولذا، فانه لم يكن أحد ليجرؤ على التصدي للفرعون علانية؛ وبذلك، فانه عندما دعا موسى قومه وأتباعه الى الهرب من وجه الفرعون، فان الكثيرين منهم، وخاصة غير المعلنين ايمانهم به أو الذين لم يتمكّن الايمان من قلوبهم، لم يغادروا، خوفاً من الفرعون وجنده.

- ان سرّية الدعوة الى الهجرة والهرب، وسرعتها، وعدم الاعداد لها، لم تمكّن قسماً كبيراً من اتباع موسى من الخروج معه، وان كانوا يؤمنون به، وبدعوته.

- من المتوقّع ان لا يتمكّن الخائف المهاجر بسرعة وسرّية من تجهيز نفسه، أو حمل كل متاعه. ولذا، فان المهـاجـرين لم تكن لديهم الأسلحـة الكـافيـة أو المـؤن، التي تمكّنهم من التغلّب على الفلسطينيين، الذين ذاع صيت قوّتهم.

- ان الفترة التي سبقت الدعوة الى الهرب، وبالتحديد منذ عودة موسى من عمله كراع عند سيدنا شعيب، كانت قصيرة. وهذا يعني ان نسبة ضئيلة من المصريين سمعوا عنه، أو قابلوه، أو تعلّموا على يديه وجهّزوا أنفسهم لمشاركته في رحلته.

- من المتـوقّـع ان ارتبـاطات أتبـاع موسى المـادية، والعائلية، تمنع الكثيرين ممّن لم تتمكن